

# السيد ابن طاووس في سطور

الشيخ هادي حسن - لبنان

## اسمه ونسبه

هو السيد علي بن موسى بن جعفر... ابن محمد، الملقب بـ "الطاووس"<sup>(١)</sup>، أحد أجداده، المنتهي نسبه إلى الحسن المثنى بن الحسن المجتبي، ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع).

## مولده

ولد - كما صرح هو - يوم الخميس منتصف محرم الحرام سنة ٥٨٩ هجرية، في مدينة الحلة السيفية في العراق.

## نشأته

نشأ في بيت يجلله الإيمان والطهر والعفة والشرف، في أسرة عريقة، من الأسر العلمية التي عُرفت بالمكارم والفضائل. فكانت بداية نشأته على يد والده وجدّه لأمه الشيخ ورام بن أبي فراس المالكي، قال (ره): "تعلمت الخط والعربية، وقرأت في علم الشريعة وغيرها، وقرأت كتباً في أصول الدين... وفي علم الكلام".

إلا أنه رفض التصدي للفتيا والقضاء، يقول (ره): "وأراد بعض شيوخه أن أدرس وأعلم الناس، وأفتيهم، وأسلك سبيل الرؤساء المتقدمين، فوجدت الله جل جلاله يقول: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \* فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]. فكرهت وخفت من الدخول في الفتوى، حذراً أن يكون فيها تقول عليه وطلب رئاسة لا أريد بها التقرب إليه، فاعتزلت عن أوائل هذا الحال، قبل التلبس بما فيها من الأهوال".

هاجر في شبابه من الحلة إلى بغداد، وكان سببها أن عرض عليه أبواه التزويج، وكان كارهاً لذلك، فأدى ذلك إلى إقامته قرب مشهد مولانا الإمام موسى الكاظم (ع) وبقي فيها مدة حتى اقتضت الاستخارة التزويج بابنة الوزير ناصر بن مهدي (ره). والظاهر أن

قدومه كان قريباً من سنة (٦٢٥هـ) حيث أن بعض المصادر تقول: إنه أقام في بغداد قرابة خمسة عشر سنة ثم رجع إلى الحلة عام (٦٤٠هـ).  
مرت عليه أحداث كثيرة في بغداد، وخصوصاً أنه عاصر الحكيمين العباسي والمغولي.

لقد أحيط في بغداد بالاحترام الكثير، ومن ذلك أن الخليفة العباسي قدّم له داراً لسكناه. كانت له صلوات وثيقة بفقهاء "المستصرية" ومناقشات ومحاورات معهم، وكانت تربطه علاقة وثيقة بالوزير القمي وولده، والوزير ابن العلقمي وأخيه وولده. أما علاقته بالمستصر العباسي فكانت قوية جداً، فكانت له كلمة عنده يسعى فيها لتعيين الرواتب للمحتاجين.

وقد فاتحه المستنصر بتسليمه الوزارة، فأبى، وعرض عليه منصب الإفتاء فرفضه، وبعد الرفض واجه مشكلة السعاية لدى الخليفة، لكن كما يقول: فكفاني الله جل جلاله بفضلته، وزادني من العناية، ثم دعاه المستنصر إلى قبول نقابة الطالبين على يد الوزير القمي تارة، وعلى يد غيره من أكابر دولتهم تارة أخرى. وبقي الخليفة العباسي يطالبه بين الفينة والأخرى بطرق مختلفة إلى أن يقول (ره): "وبقي على مطالبتي بذلك عدة سنين، فاعتذرت بأعذار كثيرة".

ثم عاد وكلّفه الخليفة بالدخول بالوزارة وضمن له أن يبلغ به إلى الغاية، وكرر المراسلة والإشارة.

فأجابه السيد قائلاً: "إن كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء يمشون أمورهم بكل مذهب وكل سبب، سواء أكان ذلك موافقاً لرضا الله جل جلاله ورضا سيد الأنبياء والمرسلين (ص)، أو مخالفاً لهما في الآراء، فإنك من أدخلته في الوزارة، قام بما جرت عليه العوائد الفاسدة.

وإن أردت العمل في ذلك بكتاب الله جل جلاله وسنة رسوله (ص) فهذا أمر لا يحتمله من في دارك، ولا ممالكك ولا خدمك، ولا حشمك، ولا ملوك الأطراف. ويقال لك إن سلكت سبيل العدل والإنصاف والزهد: إن الخلافة لو كانت إليهم كانوا على هذه القاعدة من السيرة، وإن في ذلك رداً على الخلفاء من سلفك وطعناً عليهم".  
نعم، لمنّ هذا يقال: إنه عازف عن الدنيا، حيث عرضت عليه بأرخص الأثمان وأغلاها، وبالأساليب المختلفة ألوانها، وفتحت له الدنيا ذراعيها، ولكن لما كانت عينه بعين الله ومتوكلاً عليه كفاه الله شر هذه المناصب.

فعاد إلى الحلة، وبقي فيها مدة حيث ولد له ابنه محمد سنة (٦٤٣هـ)، ثم انتقل إلى النجف فبقي فيها ثلاث سنين، وولد له ابنه علي سنة (٦٤٦هـ)، ثم انتقل إلى كربلاء، ولم تعلم مدة إقامته فيها، ثم عاد إلى بغداد سنة (٦٥٢هـ) وبقي فيها إلى حين احتلال المغول

بغداد، فشارك في رزاياها ومحنها، وشملته آلامها، قائلاً: "تم احتلال بغداد من قبل المنتصار في يوم الاثنين (١٨) محرم سنة (٦٥٦هـ) وبتنا في ليلة هائلة من المخاوف الدنيوية، فسلمنا الله (جل جلاله) من تلك الأهوال".

وبعد احتلال بغداد أمر هو لآكو أن يُستفتى العلماء: أيما أفضل: السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب، وكان السيد (ره) حاضراً ذلك المجلس، وكان مقدماً ومحترماً، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوضع الناس خطوطهم بعده.

فكان من فوائد هذه المبادرة ما أشار إليه بقوله: "ظفرت بالأمان والإحسان، وحُفنت فيه دماؤنا، وحُفظت فيه حرماننا وأطفالنا ونساؤنا، وسلم على أيدينا خلق كثير". وفي سنة (٦٦١هـ) ولي نقابة الطالبين، وبقي نقيباً إلى سنة (٦٦٤هـ) التي توفي فيها<sup>(٢)</sup>.

### أقوال العلماء فيه

قال العلامة الحلي في بعض إجازاته: "وكان رضي الدين علي صاحب كرامات، حكي لي بعضها، وروى لي والدي البعض الآخر".

وقال في موضع آخر: "إن السيد رضي الدين كان أزهد أهل زمانه"<sup>(٣)</sup>.

قال السيد التنريشي: "من أجلاء هذه الطائفة وتقائتها، جليل القدر، عظيم المنزلة، كثير الحفظ، نقي الكلام، حاله في العبادة أشهر من أن يُذكر، له كتب حسنة"<sup>(٤)</sup>.

وقال عمر رضا كحالة: "فقيه، محدث، مؤرخ، أديب، شارك في بعض العلوم، وله تصانيف كثيرة"<sup>(٥)</sup>.

وقد أثنى عليه جمع كثير من العلماء والمؤرخين، ونكتفي بهذا المقدار رعاية للاختصار.

### مصنفاته

مصنفاته كثيرة، وقد تجاوزت الخمسين مؤلفاً، نذكر منها:

- الإبانة في معرفة أسماء كتب الخزانة.
- أسرار الصلاة.
- إسعاد الفؤاد على سعادة الدنيا والمعاد.
- الاصطفاء في تواريخ الملوك والخلفاء.
- الأنوار الباهرة في انتصار العترة الطاهرة.
- روح الأسرار وروح الأسمار.

- شفاء العقول من داء الفضول.
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف.
- طرف من الأنباء والمناقب في التصريح بالوصية والخلافة لعليّ بن أبي طالب (ع).
- غياث سلطان الورى لسكان الثرى، في قضاء الصلاة عن الأموات.
- فرج المهموم في معرفة نهج الحلال والحرام من علم النجوم.
- الكرامات.
- الملهوف على قتلى الطفوف.
- مهج الدعوات ومنهج العنايةات.

### مشايخه في القراءة والرواية

١. والده السيد الشريف موسى بن جعفر... بن طاووس.
٢. الشيخ محمد بن نما.
٣. جدّه لأمه الشيخ ورّام بن أبي فراس المالكي، صاحب المجموعة الأخلاقية الشهيرة.
٤. الشيخ حسين بن أحمد السوراوي.
٥. الشيخ الزاهد حسن بن الدربي.
٦. السيد فخّار بن معد الموسوي.
٧. الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني.
٨. الشيخ محمد بن الفخّار شيخ المحدثين بالمدرسة المستنصرية ببغداد. وغيرهم من الأعلام النقات.

### تلاميذته والراوون عنه

١. العلامة الحلي صاحب التصانيف المعروفة.
٢. الشيخ علي بن عيسى الأربلي.
٣. ابن أخيه السيد عبد الكريم بن أحمد ابن موسى. وغيرهم من الأعلام.

### وفاته ومدفنه

توفي في بغداد يوم الاثنين، خامس ذي القعدة سنة (٦٦٤هـ)<sup>(٦)</sup>، وهذا من المتفق عليه عند الجميع، لكن وقع التضارب في الكلام عن مدفنه، فمنهم من ذهب إلى أن قبره مجهول<sup>(٧)</sup>، وآخر إلى أنه في الحلة<sup>(٨)</sup>، وبعض إلى أن القبر المعروف في الحلة هو قبر ابنه<sup>(٩)</sup>.

أما الكلام الفصل، فقد صرح هو في كتابه "فلاح السائل" أنه اختار لنفسه قبراً في النجف في جوار مرقد أمير المؤمنين (ع)<sup>(١٠)</sup>، وجعله تحت قدمي والده (ره) قائلاً: "لأنني وجدت الله يأمرني بخفض الجناح لهما، ويوصيني بالإحسان إليهما، فأردت أن يكون رأسي مهماً بقيت في القبور تحت قدميهما".

في "الحوادث الجامعة" قال: "توفي السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس، وحمل إلى مشهد جده علي بن أبي طالب (ع)"<sup>(١١)</sup>.

ولا يخفى أن ابن الفوطي أفضل من أرخ حوادث القرن السابع الهجري، مضافاً إلى أنه من أعلام ذلك القرن.

### الهوامش

١. لقب بالطاووس لحسن وجهه وخشونة رجليه.
٢. تُرجم له في أمل الأمل: ٢/٢٠٥، تنقيح المقال: ٢/٣١٠، الإجازات في بحار الأنوار: ١٠٧/٣٧، الحوادث الجامعة: ٣٥٦، الذريعة: ٢/٣٤٣، ربحانة الأدب: ٨/٧٦، عمدة الطالب: ١٩٠، الكنى والألقاب: ١/٣٣٩، جامع الرواة: ١/٦٠٣، جامع المقال: ١٤٢، روضات الجنات: ٤/٣٢٥، سفينة البحار: ٥/٣٤٠، مستدرك الوسائل: ٣/٤٦٧، هدية العارفين: ٥/٧١٠، الأنوار الساطعة في المائة السابعة: ١١٦، نقد الرجال: ٢٤٤، مقابيس الأنوار: ١٦، وسائل الشيعة: ٣٠/٤٦٧، أعيان الشيعة: ٨/٣٥٨، السيد علي آل طاووس.. حياته، مؤلفاته، خزانه كتبه، البابليات: ١/٦٤، كشف الظنون: ١٦٦، لؤلؤة البحرين: ٢٣٥.
٣. أمل الأمل: ٢/٢٠٧.
٤. نقد الرجال: ٢٤٤.
٥. معجم المؤلفين: ٧/٤٨.
٦. لؤلؤة البحرين: ٢٤١، أعيان الشيعة: ٨/٣٥٨.
٧. م.ن. ٢٤١.
٨. مستدرك الوسائل: ٣/٤٧٢.
٩. لؤلؤة البحرين: هامش ص ٢٤١.
١٠. فلاح السائل: ٧٣.
١١. الحوادث الجامعة: ٢٥٦.

